مجلة الاستيعاب
Issn : 2661-7625 Eissn :
المجلد: الخامس العدد: الأول ص 133ـ160

آفاق جديدة للبحث في علم الرسم العثماني، توجيه ظواهر الرسم نموذجا

New horizons for research in the science of ottoman painting, guiding the phenomena of drawing model

فتحي بودفلة

[1] جامعة الجزائر1 يوسف بن خدة، f.boudefla@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/18 تاريخ القبول: 2022/01/24 تاريخ النشر: 2023/01/27

ملخص:

من المؤسف أن نسمع بعض المختصين والمهتمين بالدراسات القرآنية يزعم أنّ علم الرسم العثماني علم محدود الآفاق باعتباره علما قائما على تتبع ظواهر ثابتة ومحدّدة، وأنّ جميع ما قيل في هذا العلم لا يتجاوز كونه استقراء ووصفا وتصنيفا لبعض الظواهر الإملائية في المصاحف العثمانية...

يحاول الباحث من خلال هذه الورقة نسف هذا الفهم السقيم، وهذا الطرح السلبي لعلم الرسم العثماني، علم لا يزال يتطور وينبغي أن يبقى كذلك في تطور مستمر...مثله مثل سائر العلوم والفنون، بما يثيره الدارسون فيه من إشكالات مستحدثة من شأنها أن تفتح آفاقا جديدة لهذا العلم الشريف، وبما في هذا العلم من جوانب مهمة لا يزال البحث فيها بكرا والقول فيها في بداياته الأولى...

وسيعرض الباحث مجالا واحدا من مجالات تطور هذا العلم وتحديث إشكالياته وتوسيع مباحثه ومسائله، ألا وهو: توجيه ظواهر الرسم العثماني: فإنّ البحث في هذا المجال لا يزال بكرا، وما قيل فيه قديما وحديثا لا يرقى من حيث حجمه ونوعه إلى أهمية وتنوع ظواهر الرسم العثماني ....

كلمات مفتاحية: آفاق علم الرسم العثماني، توجيه ظواهر الرسم العثماني، تعليمية الرسم العثماني

Abstract:

It is unfortunate to hear some specialists and those interested in Quranic studies claim that the Ottoman spelling of the Quran is a science with limited horizons, since it is based on the identification of fixed and specific calligraphic phenomena, and that this science does not exceed

being a follow-up, description and classification of these spelling phenomena in the Ottoman Quran...

Through this article, the researcher tries to undermine this misunderstanding, and this negative vision of this science, a science which is still in development and should remain in continuous development... like all other sciences, we are starting new problems, and new aspects, and with new visions….

The researcher will present two axes of development of this science, the first of which is linked to the understanding of these calligraphic phenomena of the Holy Koran. The second is linked to the calligraphic differences between the copies of the Holy Koran. It is also regrettable that many scholars and Contemporary researchers claim that the deferences between the first copies of the holy Quran do not exceed more than forty locations, and the truth is that their difference exceeds this... Through this sheet, the researcher tries to elucidate this problem and try to to open perspectives for new studies, and to widen even more the horizon of human knowledge in this science.

Keywords: Ottoman Drawing Flag ; Ottoman Drawing Possibilities ; Phenomena of texts .

[1] **المؤلف المرسل**: فتحي بودفلة ، f.boudefla@univ-alger.dz

1. مقدمة:

تزعمت المدرسة المغاربية الدراسة والبحث في هذا العلم الشريف – تزعما يكاد يكون مطلقا – ابتداء من القرن الخامس الهجري ولا تزل رائدته إلى يومنا هذا ... فينبغي على طلبة العلم في هذا البلد الكريم مواصلة مسيرة البحث في هذا المضمار، وبدل قصارى جهدهم من أجل الحفاظ على هذا المكتسب سواء بمجرد مواصلة الدراسة والبحث، أو بالتوسع والتجديد فيه... حتى تبقى هذه الريادة مستمرة وهذا التقدم سائدا وممدودا...

وإنّ المتأمّل الناظر في هذه الريادة قديما وحديثا، سيلاحظ ولا بدّ أنّها لم تكن من جهة الاهتمام بالنقل والرواية ؛ فهذه روادها أهل المشرق، باعتبارهم مصدرها الأوّل، ومنبعها الأهمّ، إنما السبق والريادة كان من

جهة الدراية، من جهة تحقيقاتهم، وعمق تحليلاتهم، فينبغي والأمر كذلك أن نهتم أكثر ما نهتم به في علم الرسم العثماني إن رُمْنا استمرار هذا التقدّم وعزمنا على الحفاظ على هذه الريادة بالدراية والتحقيق وفتح إشكالات وآفاق جديدة لهذا العلم الشريف.

ولعلّ من أهم هذه الآفاق المفتوحة في علم الرسم العثماني، توجيه ظواهره ؛ فلا يخفى –ابتداء– على اللبيب الفَطِنِ ما لتوجيه ظواهر الرسم العثماني من الفوائد الجمّة، لعلّ من أهمّها ردّ شبه الطاعنين وضحد مزاعمهم الباطلة، بالوقوف على حِكَمِ هذه الظواهر...، كما أنه بتوجيه هذه الظواهر يمكننا أن نثبت حفظ القرآن الكريم وعدم تعرضه للتبديل والتغيير...، وأنّ كتابته – كلّها– تمت في بداية ووسط القرن الهجري الأوّل، ونثبت من خلالها كذلك فضل الصحابة وسعة علمهم وعِظم اجتهادهم رضي الله عنهم...، ونثبت العلاقة بين هذه الظواهر وبين القراءات، وبينها وبين التجويد، وبينها وبين التفسير...ومختلف العلوم والفنون.

ولعلّ من التحقيقات الجديدة في توجيه ظواهر الرسم العثماني تحديد مفهومه والتفريق بينه وبين توجيه القراءات وغيره من المفاهيم المشتركة مع توجيه ظواهر الرسم العثماني في المصطلح، وكذا تصنيف مذاهب العلماء في التعامل مع هذه الظواهر، والاستعانة بمختلف العلوم والفنون العربية والغربية، الشرعية واللغوية والتاريخية من أجل الوصول إلى فهم صحيح ودقيق لهذه الظواهر الإملائية....

وقد حاول صاحب هذه الورقة البحثية تقديم مقاربة موضوعية ومنهجية عن توجيه ظواهر الرسم العثماني، بدأها بالدعوة إلى تأسيس علم يعنى بها، على شاكلة علم توجيه القراءات، وتوجيه النحوِّ، وبين يدي هذه الدعوة قدّم دراسة مصطلحية، ثم دراسة ببليوغرافية لتوجيه هذه الظواهر، وحدَّد مواقف العلماء منها، ومذاهبهم في توجيهها، ذاكرا لنماذج تطبيقية، مستعينا بعلوم شتى وفنون عدّة... ليختم بذكر أهم النتائج التي خرج بها، والتوصيات التي ينصح بها.

2. المطلب الأوّل: توجيه ظواهر الرسم آفاق معرفية واسعة في علم الرسم العثماني

1.2 دعوة إلى تأسيس علم توجيه ظواهر الرسم العثماني:

إنّ هذه الورقة، وقبلها كتاب " علم توجيه ظواهر الرسم العثماني" يحملان في طياتهما دعوة متواضعة إلى تأسيس علم توجيه ظواهر الرسم العثماني، واستقلاله عن علم الرسم، على خطا ونهج علم توجيه القراءات الذي استقلّ وانفصل عن علم القراءات، وإذا أردنا أن نتحدث عن أهمية هذه الدعوة، فلعلّ من أهم ما ينبغي أن يذكر أنّ علم الرسم من حيث تَعدادُ ظواهره، ووصفها، وترتيبها، وبيان حكمها، قد بحث فيه سلفُنا وعلماؤنا المتقدمون، بما لا مجال للزيادة فيه من حيث التَعداد، وقد كفونا مؤنة ذلك كلّه، لكنّهم لم يتوسعوا في توجيه هذه الظواهر بسبب اشتغالهم بروايتها، و"الكشف" عنها في المصاحف العتيقة، وعدم توفر بعض ما توفر لعلماء عصرنا من تجمع موارد هذا العلم واكتشاف أدوات معرفية جديدة، فالدور اليوم على أهل هذا العصر أن يقدموا شيئا لهذا العلم الشريف؛ وليس أفضل للإبداع والتجديد فيه من البحث في توجيه ظواهره...

2.2 حقيقة توجيه ظواهر الرسم العثماني:

لا بد من وقفة مع مصطلح توجيه ظواهر الرسم العثماني، بسبب تميّز مفهومه واختلافه عن مفهوم التوجيه في مختلف الحقول المعرفية الأخرى، حتى القريبة من علم الرسم كالقراءات القرآنية، ولنبدأ أولا بوقفة لغوية: فالتوجيه في اللغة من مادة (و،ج،ه) قال ابن فارس : "الواو والجيم والهاء أصل واحدٌ يدلّ على مقابلةٍ لشيءٍ." (ابن فارس، 1979، صفحة 1083) والوَجْهُ : يطلق في الأصل على الجارحة (الأصفهاني، 1416، صفحة 399)، ويستعمل في صحة الشيء (الزمخشري، 1989، صفحة 667)[المادي أو المعنوي]، وفي مستقبله (الأصفهاني، 1416، صفحة 399)، وذاته (الحموي، صفحة 348)، وسَنَنه (الأزدي، صفحة 571)، وقصده (الأزدي، صفحة 572)، وأشرف ما فيه (الأصفهاني، 1416، صفحة 399)، ومبدأه ، ومأخذه أي أصله (الحموي، صفحة 349)، ويطلق على معاني الكلام (الجزري أبو السعادات، صفحة 159) وتصريفاته...فهذه مجموعة من الدلالات اللغوية لهذه المادة وهي في غالبيتها تؤدّي وتفيد جانبا كبيرا من مفهومها الاصطلاحي؛ سواء من حيث كون توجيه الظاهرة هو وضعها في محلّها الذي يليق بها، أوردّها إلى أصلها، أو تعلقها بمبدئها، أو بمقصدها، أو بأشرف ما فيها .... ونحو ذلك.

أما من حيث الاصطلاح، فإنّ أهمّ ما ينبغي الابتداء به هو كون هذا المصطلح تتنازعه مجموعة من المفاهيم، تنازعا يتعدد ويختلف بتعدد واختلاف الحقول المعرفية التي تتناوله، وأعتقد أنّ الوقوف على خصوصية التوجيه في علم الرسم العثماني، يقتضي تمييز مفهومه وتحديده بما لا يبقي مجالا للبس والتداخل

بين هذه المفاهيم المتعددة والمتنوعة، وإذا كان البون شاسعا والفرق واسعا بين مفهومه في علم البلاغة (العكاوي، 1996، صفحة 444)، أو العروض ، أو علم الجدل والكلام ، أو في النحو والأدب ، ومفهومه في علم الرسم، فإنّ اللّبس كبير جدا، بينه وبين مفهومه في علم القراءات؛ بسب تداخل هذين العلمين واشتراكهما في كثير من المباحث والمسائل العملية، والنظرية؛ لهذا نرى أنّه من المناسب قبل الوقوف على حقيقة التوجيه في الرسم العثماني أن نعرِّج على مفهومه في القراءات .

لعلّ من أشهر تعريفات توجيه القراءات وأقدمها، تعريف الإمام الزركشي (794هـ) في البرهان (الزركشي، 1957، صفحة 235)، ومن أكثرها انتشارا وتداولا في الدراسات الحديثة تعريف الأستاذ عبد العلي المسئول في معجمه، والدكتور حسن سالم عَوَض هبشان، وسامي عبد الله الجميلي، وعبد البديع النيرباني وهي تعريفات قد ذكرتها وناقشتها في غير هذا الموضع، وسأختار ها هنا تعريفا جمع فيه صاحبه أكثر ما فرّق ووزع على مجموع التعريفات المتقدمة، وهو ما أورده الأستاذ بدر الدين عبد الكريم أحمد – في نتائج بحثه (علم توجيه القراءات أسبابه ودواعيه وأشهر المؤلفات فيه)– بقوله: "هو بيان وجوه القراءات والاحتجاج لها من حيث صحة النقل، والقياس واللغة، والإعراب، والتفسير، وأسباب النزول، ورسم المصحف، وغير ذلك من احتجاج القراءة مع ذكر الأدلة ." (سالم غرم الله الزهراني، صفحة 32) وعرّفه في موضع آخر بقوله: "بيان وجه القراءة التي اختارها القارئ لنفسه اعتماداً على آية أخرى، أو سبب نزول، أو رسم مصحف، أو صحّة سند، أو موافقة العربية، خفي ذلك الوجه على بعض النّاس فبذلك التوجيه أصبح جليّاً ". ورغم ما في هذا التعريف من مؤاخذات في الشكل والمضمون، لكنّه قد ذكر فيه أهمّ أركان توجيه القراءات.

أما توجيه ظواهر الرسم العثماني، فإنّ المتأمل في كتب علم الرسم – قديما وحديثا– يلاحظ جليّاً غياب تعريفٍ وحدٍّ مميِّزٍ لتوجيه ظواهر الرسم العثماني. وقد لا نستغرب عدم وجود هذا التعريف في الكتب التراثية القديمة؛ لأنّ التوجيه يومها لم يكن سوى مباحث فرعية تابعة لتوصيف هذه الظواهر، ولا يبعُد أن يكون استعمالهم لمثل هذه الألفاظ استعمالا لغويا محضا، أو اصطلاحيا منقولا عن مجالات علمية قريبة من علم الرسم ،كعلم القراءات الذي عَنَوْا أصحابُه واهتموا بالتوجيه أكثر من غيرهم...

لكن العيب كل العيب أن تخلوَ المقالات والأطروحات والكتب الحديثة – التي وقفتُ عليها – والتي خصت مسألة توجيه ظواهر الرسم العثماني بالدراسة والبحث من تعريف هذا المصطلح ومن بحثٍ مفهومه ومناقشة حدوده...ولا أجد ما أعتذر به لهؤلاء الفضلاء سوى كون هذا العلم بكرا لم يشتدّ عوده بعد، ولم تحدّد مبادئه وتستقر مسائله، فلا يزال المشتغلون به يقدمون فيه خطوة ويؤخرون أخرى، كما أنّهم تناولوه بشيء من التجزئة والتفكيك ؛ فهم إنّما يدرسون جوانب من هذا العلم ومسائل منه، ولم يخصّه أحدٌ ببحث جادٍّ يتناوله باعتباره علما مستقلا بذاته.

وأمام هذه المعضلة يتوجّب علينا المبادرة ومحاولة تقديم تعريف لهذا المصطلح. وليكون التعريف صحيحا – قدر الاستطاعة والإمكان – معبّرا حقّ التعبير عن مرادهم ومقصودهم به، يتوجب علينا الوقوف على المصطلحات الأخرى التي استعملت في التخصص والمجال المعرفي في مقابل هذا المصطلح من جهة، وعلى أهمّ عناصر مفهومه من جهة أخرى .

مصطلحات مشاركة للتوجيه في الاستعمال والمفهوم : من خلال تتبع أقوال علماء الرسم واستعمالاتهم قديما وحديثا تبيّن لنا أنّ أكثر اصطلاحاتهم استخداما وتوظيفا للدلالة على هذا المفهوم، ثلاثة هي: التوجيه، التعليل، التفسير.

واستعمال هذه المصطلحات لم يكن على وجه البدل بحيث من استعمل مصطلحا منها لم يستعمل الآخر أو أنّ بعض هذه المصطلحات شاع عند فئة من العلماء دون آخرين أو في زمن أو جهة دون أخرى، لم يكن الأمر كذلك بل قد تجد عند العالم الواحد هذه المصطلحات الثلاثة مستعملة وبنسب متقاربة... فالأستاذ غانم قدوري الحمد في كتابه الذي خصّه لتوجيه ظواهر الرسم العثماني "رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية" استعمل كثيرا اصطلاح التعليل والتوجيه (عبد الحي الفرماوي، صفحة 154 173 350)، وبنسبة أقلّ استعمل كذلك اصطلاح التفسير كلّ ذلك بالمفهوم نفسه.

وممّا يتوجب ذكره في هذا الباب أنّ ابن البناء المراكشي كعادته استقلّ باصطلاح خاص هو "المعنى" فإنّه كثيرا ما كان يطلقه ويقصد به التوجيه والتعليل ومن أمثلة ذلك قوله: "...فإذا بطنت حروف في الخط ولم

تكتب فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك، وإذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك، كما إذا وصلت فلمعنى موصول وإذا حجزت فلمعنى مفصول..." (المراكشي، صفحة 34).

عناصر مفهوم مصطلح التوجيه: من خلال تتبع توجيهات علماء الرسم العثماني سنحاول استنباط العناصر المميّزة لمفهوم التوجيه والتعليل في خصوص هذا العلم :

1. إنّ أهمّ عنصر ينبغي ملاحظته وتسجيله هو أنّ التوجيه في علم الرسم العثماني يُطلب فيه الوقوف على قصد الصحابة رضي الله عنهم ومرادهم من هذه الظواهر. وإلى هذا العنصر أشار ابن البناء المراكشي بقوله في خاتمة كتابه: "وقد كمل هذا العنوان من علم البيان لمرسوم خط القرآن، فإن يك ذلك حدّهم فقد وافقت قصدهم، وإن لم يكن ذلك فهو مضمن فيه ولازم عنه، ولم أقصّ إلاّ خبرهم ولا قفوت إلاّ أثرهم..." (المراكشي، صفحة 141)

ومن هذا المنطلق نقول، إنّ التوجيه لظواهر الرسم العثماني إنّما يصحّ إذا وافق قصد الصحابة رضي الله عنهم يقينا أو بغالب الظنّ، أمّا التوجيهات التي يتأكّد للدارس عدم موافقتها لقصدهم، وبعدها عن مرادهم، فإنّها باطلة، لا تصحّ، وهي مردودة على أصحابها، وهذا بخلاف توجيه القراءات حيث يطلب فيه الوقوف على سبب اختيار الإمام أصالة وابتداء، لكن لا يشترط فيه أن يوقف عليه، دون سواه، بل يُسمَح للموجّه أن يطلب كل وجه يصحّ في اللغة أو في الاحتجاج والرواية حتى وإن لم يقصده صاحب الاختيار.

ويقول الطاهر بن عاشور متحدثا عن توجيه زيادة الألف في نحو {لأَوْضعوا، ولأَاذبحنه، لإِلَى...}: "فلا أراهم كتبوا ألفا بعد اللام ألف فيما كتبوه فيه إلاّ لمقصد...." (الطاهر بن عاشور، 1984، صفحة 217) ثم راح يحاول الوقوف على هذا المقصد، وهكذا صنع جلّ من وجّه ظواهر الرسم العثماني، حاول الوقوف على قصد الصحابة ومرادهم من هذه الظواهر.

2. معْلَم آخر مهم في توجيه ظواهر الرسم العثماني، وهو أنّهم قد يريدون به دفع الشبه القائمة حول ظواهر الرسم العثماني، ورفع اللّبس المنسوب لها؛ ببيان صحة كتابتها، في مقابل من خطّأها، أو ببيان كونها قائمة على قواعد وضوابط وأصول محدّدة ومعيّنة، في مقابل من جعلها اتفاقا واعتباطا وسبهللا ...
3. يمكننا تحديد المجالات المعرفية التي لا يكاد يخرج عنها توجيه ظواهر الرسم العثماني فيما يلي:

أ. الكتابة والإملاء: من حيث تاريخها، وقواعدها، ومختلف مناهجها ومدارسها...

ب. البنية اللغوية: من حيث تهجّي الأصوات، أو اختلاف اللهجات، أو مورفولوجية المفردات، أو تركيبها...

ت. الدلالات اللغوية: تغير الدلالة والمعنى نتيجة تغير أسلوب الكتابة...

ث. الجانب الفني الجمالي: ككراهة اجتماع الحروف المتماثلة، أو مراعاة طول وقصر المفردة...إلخ.

ج. الأحرف السبعة: إذ إنّ كثيرا من ظواهر الرسم سببها يعود إلى اختلاف الأحرف، سواء بمحاولة استيعابها في رسم واحد، أو رسم بعضها دون بعض، أو توزيعها بين المصاحف...

محاولة تعريف مصطلح التوجيه: نقول بشيء من الجرأة والمجازفة توجيه ظواهر الرسم العثماني هو **(فَنٌّ الوقوفِ على قصد الصحابة ومنهجهم في ظواهر الرسم العثماني)**

فاستعمال اصطلاح "**فنٌّ**" دون علم لأنّه لا يقوم على ضوابط مطّردة، بل قائم على مراعاة الغالب الأعمّ إذ أكثر توجيهاتهم لا تخلو من مناقشة واستثناء، ولأنّ توجيه هذه الظواهر تختلف من علَمٍ لآخر، فهي لا تكاد تكون محلّ اتفاق أبدا...

القصد، والمنهج لأنّ التوجيه متعلق بمراد الكتبة، وبشكل الكتابة من حيث قواعدها العلمية والفنية والدلالية...

الصحابة لأنّ المراد بالقصد والمنهج في علم التوجيه، ما ينسب للصحابة دون غيرهم؛ فلا وجه والأمر كذلك، للتوجيه بما استُحدث بعدهم كما يفعله الكثيرون...

ظواهر الرسم العثماني هي مادة هذا العلم وموضوعه، وإنما عدلنا عن مطلق الرسم العثماني إلى ظواهره؛ لأنّ التوجيه في علم الرسم لا يتناول قصد الصحابة من مطلق رسم المصحف وإنّما يتناول قصدهم ومنهجهم في خصوص هذه الظواهر...

وقفة مع ظاهرة التوجيه في حركة التأليف في خصوص علم الرسم العثماني:

لم يشتغل المتقدمون بتوجيه ظواهر الرسم العثماني بقدر ما اشتغلوا بتوصيف هذه الظواهر وتعدادها وبيان مواضعها، ولعلّ سبب ذلك عدم وجود الحاجة، فقد كانت هذه الظواهر في أوّل الأمر معلومة عندهم متماشية مع كتابتهم وإملائهم، ولكن كلّما اتّسعت رقعة الخلاف بين رسم المصحف ورسم العربية العام من جهة وكلّما ظهرت دعوات إلى تبني الكتابة الجديدة أو إلى استغراب القديمة من جهة أخرى؛ بيّن العلماء وجه هذه الرسوم واشتغلوا بتعليلها وتوجيهها...

يقول الأستاذ غانم قدوري الحمد: "ويبدو أنّ علماء الرسم المتقدمين لم يجدوا حاجة ملحة تدفعهم إلى محاولة إيجاد تعليل لكل ما جاء غير منقاس على القواعد التي وضعها في وقت متأخر علماء العربية، وكان همهم الأول هو ضبط صور هجاء الكلمات في المصاحف العثمانية فبلغوا في ذلك الغاية..." (الفرماوي، 2004، صفحة 292)

والناظر في أكثر كتب رسم المصحف يجد أنّها لم تخلُ من التوجيه، لكن بقدر متفاوت فإذا كانت في بعضها مجرد إشارات عارضة لا تندرج في مقصد الكتاب وصلبه، فإنّها في كتب أخرى قد جاءت في تراجم أبوابه وفي صلب موضوعاته، بل إنّ البعض منها قد توسّعت في ذكر التوجيه وجعلت منه مقصدا يحتفل به الكاتب ويهتم به تماما كما يهتم ويحتفل بباقي مسائل الرسم...

ويعدّ ابن البناء المراكشي بكتابه (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل) أوّل من أفرد توجيه ظواهر الرسم العثماني بتأليف مستقل. كما أنّه أوّل من أناط هذه الظواهر وعلّقها بالدلالة والمعنى. تقول الأستاذة هند شلبي: "هذه التآليف التي تعتبر وصفية استعراضية لا تخلو من حين لآخر من تعليل، كما يلاحظ ذلك جليا في كتاب المقنع للداني وكتاب هجاء مصاحف الأمصار للمهدوي. أما رسالة ابن البناء فإنّها قائمة أساساً على التعليل... والتعليل الذي أتى به ابن البناء في رسالته يختلف فيه عن سابقيه..." (المراكشي، صفحة 14) ويقول الأستاذ غانم قدوري الحمد: "ولعلّ أشهر محاولة لتفسير ظواهر الرسم في القديم تقوم على أساس محدد هي تلك التي يعرضها أبو العباس أحمد المراكشي الشهير بابن البناء (721هـ) في كتابه: (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل)، وكان أساس هذه المحاولة هو تفسير ظواهر الرسم على أساس اختلاف معاني الكلمات..." (الفرماوي، 2004، صفحة 08)

أما في عصرنا هذا فقد كثر البحث في توجيه ظواهر الرسم العثماني، لأسباب عدّة أهمّها ما يلي:

- الهجمة الشرسة على ظواهر الرسم العثماني كما لم تكن من قبل قطّ؛ ما استدعى من المختصين ردّاً ودفاعاً وتفسيرا من خلال الاشتغال بتوجيه هذه الظواهر وبيان صحّتها وصوابها...
- الاستغناء بما ذكره المتقدمون في توصيف ظواهر الرسم العثماني وتعدادها؛ فلم يبق للمعاصرين ما يضيفونه في هذا المجال؛ ما دفعهم إلى البحث عن مجالات أخرى مستجدة في هذا العلم، يبرزون فيها جهدهم، ويقدمون فيها مساهمتهم، فوجدوا ضالتهم في توجيه هذه الظواهر...
- ظهور القول بإعجاز الرسم العثماني، ما دفع القائلون به إلى البحث عن أوجه هذا الإعجاز في طيات تعليل وتوجيه ظواهر الرسم العثماني...

وقد بدأت حركة البحث والتأليف في توجيه ظواهر الرسم العثماني في العصر الحالي بدايات محتشمة؛ فقد عقد الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابه (القراءات واللهجات) مبحثا درس فيه (سبب اختلاف المصاحف في الرسم لمألوف الخطّ ومعروف القواعد) فذكر تعليلات عدّة منها ما هو تاريخي ومنها ما هو صوتي وزعم أنّ بعضها من أخطاء الكتبة وضعفهم في هذه الصناعة. (عبد الوهاب حمودة، 1948، صفحة 197).. ومن بين هذه المحاولات الأولى محاولة عبد الحيّ الفرماوي في كتابه (رسم المصحف ونقطه) والذي اتّبع فيه من سبقه في التوجيه بالقراءات وبالدلالة على الحركات وعلى أصل الكلمات وبعض الأصوات كما أنّه انساق فيه نحو التوجيه الإشاري تبعا لتوجيهات ابن البناء المراكشي، نتيجة قوله بتوقيفية وإعجاز الرسم (الفرماوي، 2004، صفحة 405)

ثمّ جاء البحث الرائد للأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد والذي سلك فيه التوجيه التاريخي لظواهر الرسم العثماني، ثم توالت البحوث وتتابعت بعد ذلك بمختلف الاتجاهات والمذاهب والأساليب والمناهج وكلّها تصبوا إلى توجيه هذه الظواهر من جهة أو جهات مختلفة...وقد تقدمت الإشارة إلى كثير منها...أكتفي ها هنا بذكر مقالين حاولا صاحباهما تتبع واستقراء وتصنيف مختلف أنواع توجيه ظواهر الرسم العثماني:

المقال الأول: (مناهج الباحثين في تعليل ظواهر رسم آيات القرآن الكريم) للدكتور حسن عبد الجليل العبادلة. (عبد الجليل العبادلة، 1435)

المقال الثاني: (اتجاهات العلماء في توجيه ظواهر الرسم العثماني) للدكتور أسامة عبد الوهاب الحياني. (أسامة عبد الوهاب الحياني، صفحة 108)

ونظرا لقلّة ما قُدِّم في هذا المجال ؛ فإنّ الباب لا يزال مفتوحا على مصراعيه أمام الباحثين والمهتمين، من أجل التوسع في التوجيه، والبحث عن الجديد من خلال الاستعانة بمختلف العلوم والفنون، ومن خلال الاستعانة بتوجيه هذه الظواهر ذاتها في مختلف كتابات باقي اللغات ومعارف باقي الأمم...

توجيه ظواهر الرسم العثماني دليلا على حفظ القرآن الكريم:

لعلّ من أهم الأدلة العلمية والموضوعية على حفظ القرآن الكريم، النظرَ في معجمه، وتركيب ألفاظه وعباراته (نحوه)، وأصل موضوعاته، فإنّ جميعها متوافقة متطابقة مع زمن نزوله، لا يوجد فيه شيء مدرج خارج زمانه، كما هو الحال في الكتب التي حُرِّفت ؛ فإنّ جميع ما غُيِّر فيها وعُدِّل تمَّ بعد نزولها وبسبب اختلاف اللغات والبيئات بين زمن النزول وزمن التعديل اختلف المعجم، واختلف النحو، واختلفت المواضيع، بل اختلفت اللغة كلّها....واعتمادا على هذا الأسلوب العلمي والمنهجي يمكننا أن نقف على حفظ القرآن الكريم من خلال النظر في ظواهره الإملائية والموازنة بينه وبين كتابة عصره.

موازنة بين الحفريات العربية التي تعود للقرن السادس والسابع الميلادي والرسم العثماني نموذجا

المصحف الشريف بالرسم العثماني كُتِب في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بإملاء مخصوص يدرسه ويتتبع ظواهره علم الرسم العثماني، وهي ظواهر في الغالب الأعمّ تكاد تنعدم في إملاء العصور التي تلت عصر كتابته ؛ فالإملاء العربي بخلاف الرسم العثماني بقي يتغيَّر ويتطوَّر... ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا، بينما أجمعت الأمة على الالتزام بالرسم العثماني على هيئته الأولى التي كُتب بها في زمن عثمان رضي الله عنه دون تغيير ولا تبديل...وقد وردت نصوص عن بعض المتقدمين تمنع العدول عن هذه الظواهر في المصحف الشريف وإن كان مفهومه يبيح ذلك في غيرها، كنحو نص الإمام مالك

يرويه أشهب عنه قال سئل مالك رحمه الله هل يكتب المصحف على ما أحدثه النّاس من الهجاء فقال "لا إلاّ على الكتبة الأولى" (أبو عمرو الداني ، صفحة 19)

وإذا غيرنا وجهة نظرنا نحو الكتابة العربية التي زامنت كتابة المصحف، ونظرنا فيما بين أيدينا من الحفريات والآثار المكتشفة بهذا الخصوص، سنجد تطابقا تامّا بين الكتابتين، واشتراكا في جميع هذه الظواهر الإملائية، كما نجد في هذه الظواهر اقتباسات من بعض الكتابات العاربة التي زامنت أو سبقت الكتابة العربية الأولى كالكتابة النبطية (الشامية، الشمالية الغربية)، والسريالية (العراقية، الشمالية الشرقية)، وخطّ المسند (الكتابة اليمنية، الجنوبية). كلّ هذا يدل دلالة واضحة بل قطعية على أنّ هذا المصحف قد كُتب في ذلك الحين، وأنّه لم يتعرض للتغيير في كتابته فظواهره الإملائية ترجع جميعها إلى ذلك العهد، وليس فيه شيء من خارج ذلك العصر ممّا أُحدث بعده.... وللأستاذ غانم قدوري الحمد مقال في هذا الموضوع وازن فيه بين الخطوط العربية القديمة ورسم المصحف، ولصاحب هذه الورقة مقالان أوّلها متعلق بأصول الكتابة العربية من خلال ظواهر الرسم العثماني، والثاني متعلق بظواهر الرسم العثماني في أقدم ما اكتشف من الكتابات العربية...

الاستفادة من الدراسات الإملائية العالمية:

ظواهر الرسم العثماني قائمة أساسا على تتبع مخالفات رسم الكلمات لمنطوقها، وهذه الظاهرة لا تكاد تخلو منها كتابةٌ من الكتابات البشرية، وقد دُرِست هذه الظاهرة في مختلف الكتابات العالمية كالإنجليزية والإسبانية والفرنسية وغيرها... ويمكن للمهتم والباحث في علم الرسم العثماني أن يستفيد من هذه الدراسات، وسأشير ها هنا إلى بعض هذه الاستفادات

آثار الكتابة اللاتينية في الإملاء الفرنسي والإسباني نموذجا

من أكثر الكتابات العالمية التي يُخالف رسمها منطوقها الكتابة الفرنسية، فإنّك لا تكاد تجد كتابة كلمة واحدة يتطابق فيها المرسوم والملفوظ... وقد أصبحت هذه الظاهر هاجسا عند أصحاب هذه اللغة، ما جعلهم يجددون إملاءهم – رسميا – كلَّ عقد من الزمن، كما أنّ الباحثين والأكاديميين الفرنسيين لا يتوقفون عن الحديث اليومي عن هذه الظاهرة والبحث في أسبابها، ومن أهم نتائج بحوثهم قولهم: إنّ اللغة تتطور بسرعة بسبب ميل المتكلم – في الغالب الأعم – نحو التسهيل والتيسير وبسبب تفاعله مع بيئته

الطبيعية ومع بني جنسه سواء الذين يتكلمون لغته أو غيرها من اللغات، وفي مقابل ذلك تطور الكتابة بطيء لا يساير تطور اللغة المُتَكلمة، ما يحدث نوعا من الخلل في تطابقهما ؛ فتتغير اللغة المنطوقة وتتطور وتبقى رموزها المكتوبة على ما كانت عليه قبل تطورها وتغيّرها...وقد فسَّروا كثيرا من ظواهرهم الإملائية بهذا التفسير العلمي... كنحو اختلاف رموز الفاء، والباء الرخوة، والسين، والهمزة المضمومة، ودلالة صوت الحاء الهوائية... إلخ.

الاستفادة من التراث المعرفي الإسلامي التاريخي واللغوي في توجيه ظواهر الرسم العثماني:

في تراثنا المعرفي الإسلامي خارج تخصص الرسم العثماني والحقول المعرفية القريبة منه كعلم الضبط، والقراءات، وغيرها من علوم المصحف والقرآن عموما...نجد نصوصا وروايات، وفرضيات ونظريات تُعنى بتوجيه هذه الظواهر الإملائية سواء بأسلوب مباشر من خلال تسميتها والبحث في حقيقتها، أو من خلال التعرض لأسبابها، وأصلها دون تسميتها...ففي كتاب المفصل في تاريخ العرب للدكتور جواد علي (1408هـ) [دار الساقي، ط4، 1422هـ 2001م) نصوصا وروايات في غاية الأهمية يتحدث فيها عن نشأة الكتابة العربية، يستطيع الباحث من خلالها أن يتتبع أصل هذه الظواهر، وسببها.... وفي كتب اللغة القديمة إشارات كثيرة إلى إملاء بعض الكلمات يمكن أن نستقي منها أسباب تطورها وعلاقتها بظواهر الرسم العثماني.... وفيها أيضا تعليلات لبعض الظواهر الإملائية القديمة كنحو العدول عن رمز صائت لصائت آخر... وسنكتفي ها هنا بالحديث عن ظاهر الهمز في الرسم العثماني من خلال تراثنا المعرفي خارج حقل علم الرسم العثماني.

توجيه الظواهر المتعلقة برسم الهمزة نموذجا.

لقد أثارت الهمزة إشكالات علمية عدّة في تراثنا المعرفي في مختلف العلوم والفنون... الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والإملائية... وأصل هذه الإشكالات يعود لأسباب عدة ناقشتها وحلّلتها في غير هذا الموضع، منها التاريخي، والسياسي، والمصطلحي، والصوتي، واللهجي... إلخ.

يستطيع المهتم بتوجيه ظواهر الرسم العثماني أن يجد ضالتَه، في كثير من البحوث التي تناولت مشكلة الهمز في هذه الحقول المعرفية، فبعضها تحدث بإسهاب عن مذاهب المتقدمين في رسم الهمزة، دون أن يشير إلى رسم المصحف من قريب أو بعيد، لكن من خلال نصوصه تلك استطعنا أن نقف على بعض أسباب

اختلاف المصاحف في رسمها فقد أورد ابن ولاد أبو العباس أحمد بن محمد (232هـ) في المقصور والممدود نصا في تسمية الهمزة، ومثله ابن جني (392هـ) في سرّ صناعة الإعراب، وتحدث الجوهري عن أصلها في الصحاح، وتوسع القلقشندي في تتبع اسمها وأصلها وذكر في صبح الأعشى ما لم يذكره غيره.....إلخ

من خلال هذه النصوص استطعنا أن نقف على مذاهب رسم الهمزة في زمن الصحابة رضي الله عنهم، وهي

1. تركها وعدم رسما إلا أذا جاءت في أوّل الكلمة
2. رسمها برمز الألف مطلقا
3. رسمها بحسب وجه تخفيفها
4. رسمها برمزين الألف وبوجه تخفيفها مطلقا

هذه فائدة واحدة، يستقي منها الباحث توجيه اختلاف المصاحف في رسم الهمزة.... وفي هذه الكتب من الفوائد الشيء الكثير... تنتظر الباحثين والمهتمين التنقيب عنها والاستفادة منها.

3. تصنيف مذاهب العلماء في توجيه ظواهر الرسم العثماني:

1.3 اعتبارها مظاهر لبدائية الخط العربي القديم: :

ذهب جماعة من أهل العلم قديما وحديثا، إلى كون ظواهر الرسم العثماني، ما هي سوى مظاهر لبدائية الخط العربي (إبراهيم الإبياري، 1991، صفحة 149) في زمن الصحابة رضي الله عنهم، ما جعل بعضهم يصف هذه الظواهر بسوء هجاء الأوّلين (أبو زكريا الفراء، صفحة 439)، وخشونته، (أبو محمد الأندلسي، 1422، صفحة 41)وغير مستحكمة الإجادة والصناعة، (ابن خلدون، 1988، صفحة 526) أو يقدم على تخطئتهم ، أو اعتبارها جاءت على غير الوجه الأمثل والأولى. (أبو بكر الباقلاني، 2001، صفحة 544 545)..

فهؤلاء جميعهم سيكون موقفهم ترك توجيه هذه الظواهر باعتبارها خطأ أو نقصا، بل قد يعتبرها البعض قوادح ينبغي تجاوزها وتركها لما هو أسلم وأحكم ...

يقول ابن خلدون (808هـ) متحدثا عن العلماء الذين وجّهوا ظواهر الرسم العثماني: " ولا تلتفتنّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفّلين من أنّهم كانوا محكِمين لصناعة الخطّ وأنّ ما يتخيّل من مخالفة خطوطهم

لأصول الرّسم ليس كما يتخيّل بل لكلّها وجه. يقولون في مثل زيادة الألف في لا أذبحنّه: إنّه تنبيه على أنّ الذّبح لم يقع وفي زيادة الياء في بأييد إنّه تنبيه على كمال القدرة الرّبّانيّة وأمثال ذلك ممّا لا أصل له إلّا التّحكّم المحض." (ابن خلدون، 1988، صفحة 526 527)

بل قد صرّح بعضهم بكون هذه الظواهر تمثل خطرا على القرآن الكريم وقيودا تمنع من قراءته وتداوله ونشره، وأشار بعضهم من طرف خفيٍّ إلى وجوب مسايرة المصحف لرسم وإملاء العصر.. (إبراهيم الإبياري، 1991، صفحة 151)..

فهذه الطائفة التي تنظر إلى هذه الظواهر نظرة سلبية، توزعت مواقفها من توجيهها بين من اعتبرها ضربا من الخلط والخرص والقول بلا علم، وبين من سكت عنها وترك توجيهها واكتفى بقوله هي من آثار بدائية الخط العربي، أو بدائية الخطوط التي اشتق منها، وبين من رفض توجيهها انطلاقا من رفض أصلها... (فتحي بودفلة، 2017، صفحة 130 وما بعدها)

2.3 اعتبارها تعليمات ربانية تحوي دلالات وإشارات خفية:

وذهب جماعة من أهل العلم من المتأخرين إلى كون هذه الظواهر إنما كتبها الصحابة رضي الله عنهم بإملاء وتوجيه من النبيّ صلى الله عليه وسلّم، ولعلّ أشهر من نُسِبَ إليه هذا المذهب، وتناقل جُلُّ من جاء بعده كلامَه، الشيخ العارف عبد العزيز الدبّاغ حيث ينقل عنه تلميذه ابن المبارك السجلماسي مقولته المشهورة:"...ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة وإنّما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها ..." (أحمد بن المبارك السجلماسي ، 2002، صفحة 87) وإلى هذا جنح كلٌّ من الشيخ علي محمد الضّبّاع (علي بن محمد الضباع، 1938، صفحة 18)، والدكتور طه عابدين (طه عابدين، 2006، صفحة 59)....ويندرج مع هؤلاء كثير من المتأخرين الذين قالوا بتوقيفية ظواهر الرسم العثماني ، وقد نسب هذا القول كلٌّ من الزرقاني (الزرقاني، 2008، صفحة 222) وأبو شهبة (أبو شهبة، 1987، صفحة 346) وعبد الحيّ الفرماوي (الفرماوي، 2004، صفحة 245) إلى الجمهور، ولعلّ من بين القائلين به وليس كلّهم ، أحمد عبد العظيم عطية (أحمد عبد العظيم عطية، 2004، صفحة 13)، وحمدي الشيخ (حمدي الشيخ، 2010، صفحة 08)، والخطاط محمد طاهر الكردي (محمد طاهر الكردي، 1946،

صفحة 4 و5و6)، والشيخ محمد حبيب الشنقيطي (الشنقيطي، 1972، صفحة 13 16)، ونسبه أحمد خالد شكري إلى كلٍّ من محمد بخيت المطيعي، وعبد القيوم السندي، وخالد الرحمن العك، وأبو النور أحمد الزعبي ....إلخ

لننظر الآن في تأثير هذا القول بالتوقيف وربانية هذه الظواهر ، أو في علاقته بعملية توجيه ظواهر الرسم العثماني، إن بالسلب أو بالإيجاب.

فقد أشار غير واحد من أهل العلم إلى أنَّ القول بالتوقيف كان بسبب العجز عن توجيه وفهم ظواهر الرسم العثماني ليس إلاّ ، يقول الأستاذ غانم قدوري الحمد: "ونتيجة لعجز بعض العلماء عن إدراك أسباب ورود بعض الكلمات مرسومة بهيئة تخالف اللفظ من زيادة حرف ونقصه، ذهب إلى أنّ الرسم وهيئات صور الكلمات إنما هي توقيف عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم." (غانم قدوري، 2009، صفحة 168) ويقول عبد الحيّ الفرماوي: "وللقرآن أسرار، لا تستفاد إلاّ بهذا الرسم، فمن كتبه بالرسم التوقيفي ، فقد أدّاه بجميع أسراره، ومن كتبه بغير ذلك، فقد أداه ناقصا، ويكون ما كتبه إنما هو من عند نفسه لا من عند الله." (الفرماوي، 2004، صفحة 346)

بعض من قال بالتوقيف، ذهب إلى كون هذه الظواهر معجزة، واستنتج من ذلك، القصور عن توجيهها، وأنّ ما ذكره علماء الرسم في هذه الظواهر لا يعدو أن يكون محاولات لا يمكنها أن تقف على حقيقتها وما أريد منها .... نمثّل لهؤلاء بالشيخ محمد العاقب في نظمه كشف العَمى حيث يقول متحدثا عن إعجاز الرسم العثماني وانعكاس ذلك على توجيه ظواهره:

(40)والخطُّ فيه معجِزٌ للنّاسِ وحائدٌ عن مقتضى القياسِ

(41)لا تَهتدي لسِرِّه الفحولُ ولا تَحوم حولَه العُقولُ

(42)قد خَصَّهُ الله بتلك المنزلهْ دون جميع الكتبِ المنزلة

(43)ليظهر الإعجازُ في المرسومِ منه كما في لفظه المنظومِ

لينتهي إلى القول في توجيهه:

(50)فكُلُّ ذا لِعلّةٍ مُقدَّرهْ وحكمةٍ عن الحِجَا مُخَدَّرَهْ

(51) أنفاسُه للنَّفْس لا تَنَسَّمُ وسِرُّهُ عن الوَرى مَطَلْسَمُ

(52) وقد تَكلَّفَ شيوخُ الكَتَبَهْ قَلْباً ولا غِلُّ غَليلٍ يُنْقِعُ (محمد العاقب بن عبد الله)

اعتبار توجيهات ظواهر الرسم العثماني، أي سرّها ومقصد الصحابة من ورائها، أسرارا ذهبت بذهاب كتبتها، يقول الخطاط محمد طاهر الكردي: "...بقي علينا أن نعرف لماذا لم يكتبوا المصحف على قواعد الكتابة ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة هذا سؤال يجب أن يوجّه إلى الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان رضي الله عنه، وأنى يكون ذلك وقد ذهبوا إلى جوار ربهم الكريم..." (محمد الكردي، 1946، صفحة 105)

غير أنّ بعض من قال بإعجاز هذه الظواهر – وهو فرع عن القول بالربانية والتوقيف– لم يمنعه ذلك من توجيهها والبحث في تفسيرات لها... ومن هؤلاء محمد شملول في كتابه (إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة) حيث يقول: "إعجاز الكتابة يظهر في تغير مبنَى بعض الكلمات القرآنية في الآيات المختلفة سواء بزيادة حروفها أو نقصها – نطقت هذه الحروف أم لم تنطق– لتعطي آفاقا جديدة للمعاني لم يكن من الممكن إدراكها لو لم يكن هناك تغيير عن الشكل المعتاد للكلمة...." (محمد شملول، 2006، صفحة 08)

وخلاصة مواقف هذا الاتجاه أنّهم رغم اتفاقهم على ربانية وتوقيفية ظواهر الرسم العثماني، إلاّ أنّ بعضهم امتنع عن التوجيه انطلاقا من كونها أسرارا استأثر الله بعلمها، وأنّ جميع ما قيل فيها لا يغني ولا يسمن من جوع، بينما أقدم آخرون على البحث عن هذه الأسرار، فوجّهوها، وأكثرهم قصرها في الجانب الدلالي والإشاري....

1. اعتبارها نتيجة اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وتواضع منهم :

يرى أصحاب هذا المذهب أنّ الرسم العثماني إنّما هو من اصطلاح الصحابة رضي الله عنهم، ولعلّ أشهر من نصّ عليه صراحة الإمام الباقلاني حيث قال: "... لم يأخذ على كتبة القرآن وحفّاظ المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم وحظر ما عداه؛ لأنّ ذلك لا يجبُ لو كان واجبا إلا بالسمع والتوقيف.

وليس في نصّ الكتاب، ولا مضمونه ولحنه أن رسم القرآن وخطّه لا يجوز إلا على وجه مخصوص، وحدّ محدود، ولا يجوز تجاوزه إلى غيره، ولا في نصِّ السنة أيضاً ما يوجب ذلك ويدُّل عليه، ولا هو ممّا أجمعت عليه الأمة، ولا دلت عليه المقاييس الشرعية...." (أبو بكر الباقلاني، 2001، صفحة 547) . وممّن نص عليه كذلك أمير الفنّ وشيخ الصناعة أبو عمرو الداني في أجلّ كتب علم الرسم "المقنع" حيث قال في مقدمته: "هذا كتابٌ أذكر فيه – إن شاء الله – ما سمعته من مشيختي، ورويته عن أئمتي من مرسوم خطوط مصاحف أهل الأمصار: المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وسائر العراق المصطلح عنه قديما مختلفا فيه ومتفقا عليه..." (أبو عمرو الداني ، صفحة 130) وقد نسب الباحث حمدي الشيخ هذا المذهب إلى جمهور العلماء (حمدي الشيخ، 2010، صفحة 8)، بهذا المذهب قال جمهور السلف الذين نُقل عنهم وجوب اتباع رسم المصحف وإن لم يصرحوا بلفظ الاصطلاح لكنّه متضمن في أقوالهم وفتاويهم (فتحي بودفلة، 2017، صفحة 80..87)، وبه قال كل من البيهقي، ونظام الدين النيسابوري، والخراز، وعبد الوهاب غزلان، وعبد الفتاح القاضي، ومناع القطان (مناع القطان، 2000، صفحة 140 142) ، وإبراهيم خليفة، وفضل حسن عباس، ومحمد فهد خاروف، وفهد الرومي (فهد الرومي، 2005، صفحة 488)، ومصطفى ديب البُغا، ومحيي الدين ديب مستو (مصطفى ديب، 1988، صفحة 97 98)، ومحمد بن لطفي الصباغ (محمد بن لطفي الصباغ، 1990، صفحة 125)، وهو ظاهر ما ذهب إليه إبراهيم المارغني...إلخ

أكثر هؤلاء اجتهدوا في توجيه ظواهر الرسم العثماني، وبحثوا في قصد الصحابة ومرادهم منها، وقد تعددت وتنوعت توجيهاتهم بين اللغوية والتاريخية والفنية .....

2. الاتجاه التاريخي في توجيه ظواهر الرسم العثماني:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ هذه الظواهر ما هي إلاّ بقايا الكتابات القديمة، سواء الإملاء العربي الذي سبق إملاء كتابة المصحف الشريف، أو إملاء الكتابات التي اشتقت منها الكتابة العربية كالنبطية، والسريالية، وخط المسند.

وقد أشرنا فيما تقدم إلى شيء من هذا التوجيه...

3. الاتجاه الإملائي في توجيه ظواهر الرسم العثماني:

المقصود بالإملاء، هو قوانين كتابة لغة ما في مرحلة زمنية محدَّدة، فأصحاب هذا التوجّه يبحثون في القواعد العامة والأصول الكتابية التي اعتمدها الصحابة رضي الله عنهم في رسم المصحف، ولعلّ من أبرزها:

- مراعاة الابتداء بالكلمة والوقف عليها
- مراعاة الكلمة المفردة
- مراعاة طول وقصر الكلمات
- مراعاة الوحدات الكتابية
- كراهة اجتماع الأمثال
- ترك رسم كل ما دلت عليه القرائن (الإدغام، الكلمات القياسية....)
- رسم أصول الكلمات والاجتهاد في زوائدها
- رسم صوامت الكلمات والاجتهاد في صوائتها

4. الاتجاه اللغوي في توجيه ظواهر الرسم العثماني:

يعتمد أصحاب هذا الاتجاه على تفسير وتعليل ظواهر الرسم العثماني من خلال الاستعانة بمختلف المستويات اللغوية، والناظر في مصادر علم الرسم القديمة ومراجعه الحديثة يجد الشيء الكثير من هذه التوجيهات، نذكر ها هنا بعضها مصنّفة بحسب هذه المستويات اللغوية:

- **المستوى الصوتي:**

كنحو توجيه رسم الإدغام برمز واحد بكون الكاتب اعتمد اللفظ لا أصله، ورسم الهمزة واوا بالعلّة نفسها....

- **المستوى الصرفي:**

الصيغ الصرفية القياسية يكثر فيها الحذف بخلاف الصيغ السماعية ؛ وتوجيه ذلك أن القياس يغني عن الكتابة لمعرفته واطراده بخلاف السماع، ولهذا تركوا الألف في الجموع السالمة وأثبتوها في السماعية.

- **المستوى اللهجي:**

ومن التوجيهات اللهجية التي اعتمدت، تفسيرهم لرسم التاء هاء في بعض المواضع باختلاف اللهجات العربية، فهي عند قريش ترسم بالتاء على لغتهم، وعند غيرهم ترسم بالهاء تبعا للهجتهم...

كما وجهوا بها رسم الهمزة واوا وياء وحذفها، فقد اختلف رسم الهمزة باختلاف لهجات العرب ؛ فمن يسقطها ترك رسمها، ومن يحققها رسمها ألفا، والذي يخففها رسمها بوجه تخفيفها....وقد توزع رسمها في المصحف الشريف على أكثر هذه الأوجه...

- **المستوى التركيبي:**

وُجِه به بعض مباحث الوصل والفصل، كنحو (فيما) و(في ما). باعتبار أنّ الدلالة تختلف باختلاف الرسم.

5. الاتجاه الكلامي في توجيه ظواهر الرسم العثماني:

هو اتجاه علَّق هذه المسائل الإملائية بالظواهر الكونية، تزعّم هذا الاتجاه ابن البناء المراكشي (724هـ)، في حديثه عن الملك الظاهر والخفي، الملك والملكوت، وعن الممكن الوصول إليه وغير الممكن، العزّة والجبروت...وتعليقه ذلك كلّه بالحذف والزيادة وبالبدل والوصل والفصل وأحكام الهمز واختلاف المصاحف.... وقد حلَّلت هذه التوجيهات وناقشتها وانتقدتها في رسلتي للماجستير الموسومة بـ "توجيه ظواهر الرسم العثماني عند ابن البناء المراكشي من خلال كتابه عنوان الدليل في مرسوم التنزيل دراسة تحليلية نقدية".

6. الاتجاه الإشاري في توجيه ظواهر الرسم العثماني:

هو اتّجاه اعتمد فيه أصحابه على التأويل الإشاري لاستنباط دلالات من ظواهر الرسم العثماني، فذكر بعضهم أنّه لا يكون الحذف في رسم كلمة إلاّ إذا كان في دلالتها معنى خفي، ولا تكون الزيادة في رسم كلمة إلاّ إذا كان في دلالتها معنى زائد على ما في أصل دلالتها، ونحو ذك يقولون في البدل والوصل والفصل... وذهب آخرون إلى اعتماد دلالات أخرى يستشفونها بذوقهم المعرفي فيها كثير من الذاتية، وأكثر هذه الدلالات الإشارية عبارة عن مواعظ وحِكم تتوافق مع أصول الشريعة وتخدمها...

5. خاتمة:

نكتفي في نهاية هذه الورقة البحثية بتقديم أهم النتائج التي وصل إليها صاحبها، وكذا أهمّ التوصيات التي يراها كفيلة بتحقيق هذه النتائج والمضي قدما بهذا العلم الشريف.

أهمّ النتائج:

مع العلم أنّ بعض هذه النتائج توسعت في الحديث عنها في الورقة وبعضها الآخر اكتفيت بالإشارة إليها.

- إنّ أهل المغرب إنّما تفوقوا وتزعموا وأحيانا كثيرة اختصوا وتفردوا في مختلف العلوم والفنون المتعلقة بالقراءات القرآنية من جهة التحقيق والدراية لا من جهة النقل والرواية...
- زعمُ بعض المهتمين والمختصين أنّ علم الرسم العثماني علمٌ محدود قد انتهى البحث فيه وانقضى غير صحيح – لا في هذا العلم ولا في غيره من العلوم– بل آفاقه كبيرة وأبواب البحث لا تزال مفتوحة ... والورقة تقترح مجالين لمواصلة البحث والإنتاج بل والإبداع : توجيه ظواهر الرسم العثماني، واختلاف المصاحف.
- ظواهر الرسم العثماني هي إحدى أهم الأدلة القطعية لإثبات حفظ القرآن الكريم وعدم تعرّضه للتبديل والتغيير، بل هي نفسها تثبت أنّ كتابة القرآن الكريم – كلّه – تمت في بداية ووسط القرن الهجري الأوّل... وذلك باعتماد منهجية علم الآثار
- ظواهر الرسم العثماني تثبت سعة علم الصحابة وإتقان عملهم، فقد فرّقوا بين الصوائت والصوامت في كتابة القرآن الكريم، وفرّقوا بين أصول الكلمات وزائدها، وفرّقوا بين الصيغ الصرفية السماعية

والقياسية، وفرّقوا بين الأفعال والأسماء والحروف.....كلّ ذلك قبل أن تصطلح العلوم على هذه المسميات...

- ظواهر الرسم العثماني لها علاقة من حيث توجيهها بعلوم شتى وفنون عدة من بينها القراءات، التجويد، الوقف والابتداء، التفسير....
- تخصيص توجيه ظواهر الرسم العثماني بعلم مستقل من شأنه أن يجدد البحث فيه وينميه ويحيي الهمم من جديد ويشحذها...
- مصادر علم الرسم العثماني القديمة لم تقدم لنا – للأسف الشديد– تعريفا، وَحَدّا ظاهرا ومنضبطا لتوجيه ظواهر الرسم، والكتب الحديثة تكاد تخلو من هذا التعريف، وقد قدم صاحب هذه الورقة في هذه المداخلة، وفي رسالته للماجستير "توجيه ظواهر الرسم العثماني عند ابن البناء المراكشي" وفي كتاب "علم توجيه ظواهر الرسم العثماني" دراسة لمفهوم هذا المصطلح، واقترح تعريفا لهذا العلم.
- التعريف المقترح: (فنُّ الوقوف على قصد الصحابة ومنهجهم في ظواهر الرسم العثماني)
- توجيه ظواهر الرسم العثماني له مفهوم خاص به لا يشترك مع غيره، فإذا كان توجيه القراءات مفتوح على كل تعليل أو تفسير يصحّ في فنّه وعلمه، فإنّ توجيه القراءات موقوف على البحث في التعليلات والتفسيرات التي قصدها الصحابة كتبة المصاحف العثمانية رضي الله عنهم قطعا أو بغالب الظنّ.
- لم يتوسع المتقدمون في توجيه ظواهر الرسم العثماني لاشتغالهم بتتبعها وتصنيفها ونقل مروياتها، لكن كتبهم لا تخلو من إشارات إلى بعض توجيهاتها ولعلّ من أشهر وأكثر من وجّهها أبو عمرو الداني في تراجم كتابه المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ونحسب أنَّ كتابه التحبير أو ما يسمى بالمقنع الكبير فيه من ذلك الشيء الكثير والله أعلم.
- تتبعنا في هذه الورقة بشيء من الاختصار حركة التصنيف في توجيه ظواهر الرسم العثماني ومراحلها التاريخية، وقد أسهبنا القول في هذه الجزئية في رسالة الماجستير وفي الكتاب الخاص "بتوجيه ظواهر الرسم العثماني" وفي مقال "تاريخ علم الرسم العثماني"...
- يمكن لعلم الرسم العثماني أن يستفيد من الدراسات الإملائية المعاصرة، والدراسات التاريخية، والأنثروبولوجية... وغيرها في توجيه ظواهر الرسم العثماني...

- يمكن لعلم الرسم العثماني أن يستفيد من الدراسات التراثية الإسلامية في مختلف الحقول المعرفية التاريخية، واللغوية... وغيرها في توجيه ظواهر الرسم العثماني...
- اختلف العلماء في توجيه ظواهر الرسم العثماني إلى مذاهب شتَّى، عدَّدنا منها في هذه الورقة سبعة هي:

✓ مذهب يعتبرها مظاهر بدائية الخط العربي القديم

✓ مذهب يعتبرها تعليمات ربانية تحوي دلالات وإشارات خفية علمها مَن علِمها وجهلها من جهلها

✓ مذهب يعتبرها نتيجة اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وتواضع منهم لكن سرها ذهب بذهابهم

✓ الاتجاه التاريخي في توجيه هذه الظواهر

✓ الاتجاه الإملائي في توجيه هذه الظواهر

✓ الاتجاه اللغوي في توجيه هذه الظواهر (بمستويات اللغة كلّها)

✓ الاتجاه الكلامي في توجيه هذه الظواهر

✓ الاتجاه الإشاري في توجيه هذه الظواهر

6. قائمة المراجع:

7. إبراهيم الإبياري، (1411هـ 1991م)، تأريخ القرآن، دار الكتاب المصري، القاهرة.
8. أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم أبو داود الأموي بالولاء، (1423 هـ - 2002 م). مختصر التبيين لهجاء التنزيل، تحقيق: أحمد شرشال، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، المدينة المنورة.
9. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ،(1399هـ - 1979م) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
10. أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي، (2002م 1423هـ)،الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدّباغ، دار الكتب العلمية بيروت .

11. أحمد عبد العظيم عطية،(2004م)، المجموع في هاء التأنيث والموصول والمقطوع، دار الإيمان الإسكندرية.
12. إسماعيل باشا البغدادي، (1951 م) هدية العارفين وأسماء المؤلفين، أعادت طباعته بالأوفسيت دار إحياء التراث العربي بيروت.
13. الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (1412) المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت.
14. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(1415هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية بيروت.
15. إنعام فوّال عكّاوي،(1417هـ-1996م)المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية بيروت.
16. الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، (1422 هـ - 2001 م)الانتصار للقرآن الكريم، دار ابن حزم – بيروت.
17. البغا، مصطفى ديب البغا، ومحيي الدين ديب مستو، (1418هـ 1998م)الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية دمشق.
18. التهانوي، محمد علي التهناوي،(1996م)كشاف المصطلحات مكتبة لبنان، بيروت.
19. الجهني، ابن معاذ الجهني، البديع في الرسم العثماني في المصاحف الشريفة، دار عمار، عمان.
20. الحمد، غانم قدوري الحمد،(1430هـ 2009م)رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، دار عمار، عمان.
21. حمدي الشيخ،(1431هـ 2010م) الإعجاز البياني في الرسم العثماني، دار اليقين القاهرة.
22. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، (1408 هـ - 1988 م)ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت.

23. الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري كتاب العين، دار ومكتبة الهلال.
24. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي،(1987م)جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، بيروت.
25. الداني، أبو عمرو الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
26. الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني،(1429هـ 2008م) مناهل العرفان، دار صادر بيروت
27. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، (1376 هـ 1957م) البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية
28. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،(1419 هـ - 1998 م) أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت.
29. شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، (2017 م)المدارس النحوية،.دار المعارف القاهرة.
30. الضباع، علي بن محمد الضباع، (1357هـ 1938م)سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، طباعة ونشر عبد الحميد أحمد حنفي.
31. حمدان، طارق، (2009م)علم العروض والقافية، دار الهدى عين مليلة.
32. النيربـاني، عبـد البـديع، (1427هـ - 2006م)، الجوانـب الصـوتية في كتـب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني، دمشق.
33. المسؤول، عبد العالي، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، دار السلام، القاهرة.
34. عتيق، عبد العزيز، (1424هـ 2004م) علم العروض والقوافي، دار الآفاق العربية القاهرة.
35. القاضي، عبد الفتاح، (2014-2015م)تاريخ المصحف الشريف، طبع قطاع المعاهد الأزهرية .

36. حمودة، عبد الوهاب، (1948م)، القراءات واللهجات، دار النهضة المصرية القاهرة.
37. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي ،(1422هـ)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية بيروت.
38. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ،(1984 م)التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر ، تونس .
39. بودفلة، فتحي، (2017م،) ظواهر الرسم العثماني ومواقف العلماء منها، دار أَلِف، الجزائر.
40. الفرماوي، عبد الحيّ حسين الفرماوي،(1425هـ 2004م)رسم المصحف ونقطه، مكة بالاشتراك مع دار نور المكتبات، جدة.
41. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، معاني القرآن، دار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة.
42. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،(1399هـ - 1979م)مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت.
43. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،(1406 هـ - 1986م)مجمل اللغة لابن فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت.
44. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي،(1426هـ 2005م) دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض.
45. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت .
46. الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي،(1365هـ 1946م)تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، مطبعة الفتح جدة .
47. مجدي وهبة، وكامل المهندس،(1984م)معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان بيروت .
48. محمد أبو شهبة، (1407هـ 1987م)المدخل إلى دراسة القرآن، دار اللواء الرياض.

49. الجكني اليوسفي، محمد العاقب بن عبد الله بن ما يأبي ، كشف العَمى والرَّيْن عن ناظري مُصحف ذي النُّورين.

50. الجكني الشنقيطي، محمد بن حبيب بن عبد الله، (1392هـ 1972م)، إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه، مكتبة المعرفة حمص .

51. الصّباغ، محمد بن لطفي،(1410هـ 1990م) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي بيروت .

52. شملول، محمد ،(1427هـ 2006م) إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، دار السلام القاهرة .

53. الكردي، محمد طاهر،(1365هـ 1946م) تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح جدة.

54. القطان، مناع، (1421هـ 2000م) ، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة القاهرة .

55. المارغني، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي، دليل الحيران في شرح مورد الظمآن، دار الحديث، القاهرة.

56. هبشان، حسن سالم عوض،(2013م) توجيه المفسرين للقراءات المختارة، مؤسسة جائزة دبي للقرآن الكريم، الإمارات.

57. شكري، أحمد خالد، (ذو الحجة 1428هـ 2008م)، حكم الالتزام بقواعد رسم المصحف، مجلة الشريعة والقانون العدد الثالث والثلاثون ،..

58. الحياني، أسامة عبد الوهاب، اتجاهات العلماء في توجيه ظواهر الرسم العثماني، مجلة الجامعة العراقية العدد1/34 يصدرها مركز البحوث والدراسات الإسلامية ابتداء من الصفحة 81 إلى الصفحة 108

59. طه عابدين، (1427هـ 2006م) مزايا الرسم العثماني وفوائده، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثاني.

60. الحسني، الهادي، (8\9\2014) في قنزات 2" ، جريدة الشروق الجزائرية بتاريخ.

61. الطواله، نمشة بنت عبد الله، إعجاز الرسم القرآني بين المثبتين والنافين، 1433هـ، مجلة الدراسات القرآنية العدد (10).

62. العبادلة، حسن عبد الجليل، 1435هـ، مناهج الباحثين في تعليل ظواهر رسم آيات القرآن الكريم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية جدة العدد السابع عشر جمادى الآخرة.